معهد الجزيرة للإعلام
زمالة الجزيرة - 2022
ورقة بحثية

معهد
الجزيرة للإعلام

دور صحافة الأنثروبولوجيا في الحفاظ على الثقافة المحلية والقيم المجتمعية المغربية: تطوان والحسيمة أنموذجا

شيماء خضر

مشرف البحث:
د. أسماء ملكاوي

جميع الحقوق محفوظة @ معهد الجزيرة للإعلام 2020

برنامج زمالة الجزيرة:

برنامج أطلقه معهد الجزيرة للإعلام، ويهدف إلى تشجيع البحث الأكاديمي، وإتاحة الفرصة أمام الصحفيين والباحثين للاطلاع على تجارب عملية ودراستها بعمق، بشكل يسهم، مع جهود مؤسسات عربية وعالمية عديدة، في تحسين مهنة الصحافة والعبور بها إلى المستقبل.

شيماء خضر:

صحفية مغربية اشتغلت لمدة ثلاث سنوات مذيعة ومنتجة برامج بالشركة الوطنية للإذاعة والتلفزة المغربية، سكرتيرة تحرير نشرة التجديد الرقمية التي تصدر عن المعهد العالمي للتجديد العربي بمدريد، ومؤطرة ورشتي "لنتواصل بالفصحى" و"الصحفي الصغير" بشراكة مع أكاديمية الإبداع العربي للتدريب بتطوان.
حاصلة على دكتوراه في الآداب تخصص لسانيات وتواصل وترجمة، وماجستير صحافة - ترجمة - تواصل من مدرسة الملك فهد العليا للترجمة بجامعة عبد المالك السعدي.

ملخص البحث

في الوقت الذي تحظى كل من مدينتي الحسيمة وتطوان بخصوصية ثقافية قائمة على منظومة قيمية متجذرة في التاريخ الحضاري العربي والأمازيغي، فإن هذا لم يمنع من تسرب الثقافات والممارسات الدخيلة على المجتمعين التطواني والحسيمي. وبما أن للمدينتين إذاعتين رسميتين، طرحت الباحثة من خلال هذه الدراسة، مجموعة من الأسئلة حول العلاقة ما بين مجال الصحافة والإعلام ومجال الأنثروبولوجيا، وكيف يمكن أن يساهم الدمج بينهما في الحفاظ على الثقافات المحلية، وما تتضمنه من قيم مجتمعية، ومدى تطبيق الصحفيين للمنهج الإثنوغرافي في إعدادهم وتقديمهم لهذه النوعية من البرامج الإذاعية.

اعتمدت الباحثة في هذه الدراسة المعنونة بـ "دور صحافة الأنثروبولوجيا في الحفاظ على الثقافة المحلية والقيم المجتمعية المغربية: تطوان والحسيمة أنموذجا"، على منهج مختلط يرتكز على تحليل مضمون مجموعة من البرامج التي قدمها صحفيون مهنيون بإذاعتي تطوان والحسيمة سنة 2021، واستبانة موجهة لمعدي ومقدمي هذه البرامج، إضافة إلى مقابلات مفتوحة مع أساتذة متخصصين ومثقفين مهتمين بالثقافة المحلية ينتمون إلى مجتمع الدراسة.

وخلص البحث، إلى أن العمل الذي يقوم به الإذاعيون بمحطتي الحسيمة وتطوان، التابعتين للشركة الوطنية للإذاعة والتلفزة المغربية، أثناء إعدادهم وتقديمهم للبرامج التي تهتم بالثقافة المحلية وما تتضمنه من قيم مجتمعية، هو عمل صحفي مهني يعتمد على مجموعة من الآليات والمنهجيات التي تشترك مع مناهج الأنثروبولوجيا، كالملاحظة بالمشاركة والمقابلات وأصناف المقابلات؛ منها طريقة المقابلة الموجهة والمقابلة غير الموجهة والملاحظة المباشرة والمعايشة وطريقة المقارنات ودراسات الحالات وتاريخ الشخصية، وغيرها من المناهج والتقنيات المعتمدة من لدن العلمين مع تمايزات نسبية. وهو ما يفضي إلى استنتاج بوجود علاقة تكاملية بين الأنثروبولوجيا وعلوم الإعلام والاتصال في حين أن الصحافة الأنثروبولوجية لا تدخل ضمن مساقات التدريس والتكوين في الكليات والمعاهد بالمغرب.

كما خلصت الدراسة إلى أن تعزيز العمل الصحفي الإعلامي بالبعد الأنثروبولوجي فيما يتعلق بالدراسات العلمية أو الإنتاجات الصحفية الإعلامية التي تهتم بالثقافات المحلية والقيم المجتمعية، سيكون بلا شك عنصرا مثريا، على اعتبار أنه يجعل الإنتاج الصحفي الإعلامي أكثر عمقا، ويساهم في الحفاظ على مكونات وعناصر الثقافات المحلية والقيم المجتمعية.

[1] مقابلة الباحثة مع الدكتور محمد عبد الوهاب العلالي بتاريخ 30 مارس 2022

الفهرس

المقدمة 7

الإطار المنهجي للبحث 9

الإطار النظري للبحث والداسات السابقة 14

الإطار النظري التطبيقي للبحث 16

الخلاصات والتوصيات 31

المراجع 32

المقدمة

أسفرت الثورة الرقمية عن مجموعة من التحولات على مستوى كيفية التعاطي مع مختلف وسائل الإعلام، الأمر الذي فسح المجال للتأثير الثقافي على نطاق واسع بالأخص من طرف الدول الأكثر إنتاجا للمحتوى الذي يروج لثقافتها بطريقة مباشرة وأخرى غير مباشرة، كما هو الحال –على سبيل المثال- بالنسبة لما بات يعرف بـ"الهاليو" أو "الهوس بالثقافة الكورية الجنوبية". ويمكن اعتبار هذا التصدير القوي والجامح للمحتوى الكوري الجنوبي، غزوا فكريا وثقافيا لامس معظم أنحاء العالم.

ويعتبر المجتمع المغربي من بين المجتمعات التي تأثرت –ولا تزال- بالثقافات القادمة من الخارج، بل ربما أكثرها عرضة لها نظرا لمجموعة من العوامل، من بينها قلة النتاجات الرقمية التي تساهم في نشر الثقافة وما تتضمنه من القيم المجتمعية ومصفوفاتها الأخلاقية والتربوية والدينية، بالرغم من أن مكونات هويته الثقافية غنية جدا ومتنوعة، الأمر الذي يستدعي التفكير في كيفية التعمق فيها ودراسة مختلف جوانبها ونشرها، بغية التشبث بها والحفاظ عليها. ولن يتأتى ذلك دون صحافة محلية جادة ومتأنية.

إن التأسيس لصحافة وإعلام محلي يتعدى دوره وظيفة الإخبار إلى وظيفة التنشئة الاجتماعية ونشر الثقافة المحلية، وخلق الوعي بضرورة الحفاظ عليها وعلى القيم المجتمعية، بات مطلبا ملحا لتسليط الضوء على الخصوصية الثقافية لمختلف مناطق وجهات المغرب، لما لكل واحدة منها من خصوصية متفردة تميزها عن الأخرى، وتجمعها كلها تحت هوية وطنية موحدة. كما ينبغي أن يكون معدو ومقدمو البرامج، وواضعو الخطط البرامجية في وسائل الإعلام، على مستوى من الوعي الثقافي والدراية التامة بما يقومون به، وكيفية رسم الخطط البرامجية بما يحقق الأهداف الثقافية والتنموية، لا مجرد تعبئة ساعات البث.

ذلك لأن ما نلمسه من تأثير في المضامين الإعلامية خصوصا في ظل تطور تكنولوجيا الاتصال والإعلام، يدعونا لليقظة والاهتمام لما لها من أثر بالغ على ثقافة الأفراد ودورها في درء أخطار الغزو الثقافي ومحاولات الهيمنة الثقافية[2]. ومن بين المرتكزات التي يجب على وسائل الإعلام الحفاظ عليها لغة الجماعة والفنون والتراث الشعبي للحفاظ على الثقافة العامة، وترسيخ القيم الإيجابية وكل ما من شأنه خدمة المجتمع وتحقيق برامجه في التنمية والثقافة من خلال خطط آنية[3] وصحافة متأنية تعتمد على مبادئ الأنثروبولوجيا.

لقد خلصت دراسة بعنوان "المنهج الإثنوغرافي في الصحافة العربية" قدمها معهد الجزيرة للإعلام سنة 2021، إلى أن الدمج بين مهنة الصحافة ومجال الأنثروبولوجيا، من شأنه أن يحسن أداء المؤسسات والمقاولات الصحفية[4]، وفي حال ما إذا تم الدمج بينهما، فمن شأن ذلك أن يمكننا من تقديم إنتاجات تساهم في ترسيخ الثقافة وقيمها المحلية، عن طريق ربطها بجذورها التاريخية والتعريف بخصوصياتها ومن ثم محاولة تقديمها في قالب تجديدي قد يسهل على الشباب تقبله واستيعابه، وبالتالي حمايتها نسبياً من الغزو الفكري والثقافي الوافد من الخارج.

ففي الوقت الذي تحظى كل من مدينتي تطوان والحسيمة بخصوصية ثقافية قائمة على منظومة قيمية متجذرة في التاريخ الحضاري العربي والأمازيغي، وعلى إذاعة جهوية لكل واحدة منهما، فإن هذا لم يمنع من تسرب الثقافات والممارسات الدخيلة على المجتمعين التطواني والحسيمي.

[2] رقاب، محمد، الإعلام الثقافي بين الحفاظ على الهوية وموجات الإمبريالية الثقافية، المجلة الدولية لاتصال الاجتماعي، ص 79، 2019.
[3] المرجع السابق، ص 80.
[4] غالب جابر، بيسان، المنهج الإثنوغرافي في الصحافة العربية، إصدارات معهد الجزيرة للإعلام، 2021

- **أسئلة البحث**

تسعى هذه الدراسة إلى البحث في العلاقة ما بين مجال الصحافة والإعلام ومجال الأنثروبولوجيا، وإبراز الرؤية الإثنوغرافية لدى الصحفيين في تقديمهم لبرامج إذاعية من شأنها المحافظة على الثقافة المحلية والقيم المجتمعية بكل من إذاعتي تطوان والحسيمة، انطلاقا من مجموعة من الأسئلة أهمها:

السؤال الأول: إلى أي مدى تحققت شروط عمل الصحافة الإثنوغرافية بكل من إذاعتي الحسيمة وتطوان؟

السؤال الثاني: هل لدى الصحفيين المشتغلين بكل من إذاعتي الحسيمة وتطوان وعي مسبق بمدى تطبيقهم لمبادئ الصحافة الأنثروبولوجية وآليات المنهج الإثنوغرافي عند إعداد وتقديم البرامج التي تعنى بالحفاظ على الثقافة المحلية؟

السؤال الثالث: كيف يمكن أن يساهم الدمج بين مجال الصحافة والإعلام ومجال الأنثروبولوجيا في الحفاظ على الثقافات المحلية وما تتضمنه من قيم مجتمعية؟

- **أهمية البحث**

تكمن أهمية هذا البحث في كونه يمثل نقلة جديدة في الأبحاث المتعلقة بمجال الصحافة والإعلام، فبعكس الأبحاث السابقة التي تطرقت للصحافة الإلكترونية، جاءت هذه الدراسة كي تسلط الضوء على نمط جديد من أنماط الصحافة وتربطه بالأنثروبولوجيا، من خلال تحليل البرامج الإذاعية وتوضيح صلات التكامل والآليات المشتركة بينها وبين المجال الأنثروبولوجي فيما يتعلق بالحفاظ على الثقافات المحلية والقيم المجتمعية.

الفصل الأول: الإطار المنهجي للبحث

- **منهجية البحث**

اعتمدت الباحثة لإنجاز هذه الدراسة وتحقيق أهدافها على منهج مختلط: كمي ونوعي، حيث استعانت في جمع البيانات على أدوات رئيسية تتمثل في **المقابلة المفتوحة** مع أساتذة متخصصين ومثقفين مهتمين بالإعلام وبالثقافة المحلية بتطوان والحسيمة، للتعرف على الخصوصية الثقافية والمجتمعية التي تميز كلا منهما وكيف يمكن أن يساهم الدمج بين مجال الصحافة والإعلام ومجال الأنثروبولوجيا في الحفاظ عليها، **والاستبانة** الموجهة لكل الصحفيين المشتغلين بالإذاعتين بمن فيهم معدي ومقدمي حلقات البرامج محور الدراسة لتجميع البيانات ومعرفة مدى وعيهم بتطبيق مبادئ الصحافة الأنثروبولوجية وآليات المنهج الإثنوغرافي عند إعدادهم وتقديمهم لهذه النوعية من البرامج، إضافة إلى **تحليل مضمون** محور الدراسة وتصنيفها لمعرفة إلى أي مدى تحققت شروط عمل الصحافة الإثنوغرافية بكل من إذاعتي الحسيمة وتطوان. وتعتبر هذه الأداة من الأدوات الأساسية المستخدمة في البحوث الإنسانية والاجتماعية، وأيضا في الدراسات المرتبطة بالإعلام والاتصال. فحسب Ber-elson Jean) هو "أسلوب بحث يهدف إلى الوصف الموضوعي المنتظم، والكمي للمحتوى الظاهر للاتصال" (DE BONVILLE, 2000, p9.)، كما عرفه Paisely بأنه عملية إعلامية تتحول فيها المادة الاتصالية إلى عينات قابلة للتلخيص والمقارنة عن طريق استخدام قانون الفئات الموضوعي المنهجي ، الأمر الذي يبعد الدراسة عن التأويل ويجعل التحليل موضوعيا.

[2] بخوش نجيب، سراي سامية، الإجراءات المنهجية لاستخدام تحليل المضمون في بحوث الإعلام، المجلة الجزائرية لبحوث الإعلام والرأي العام، ديسمبر 2020، ص18

مصفوفة التحليل

اطلعت الباحثة على شبكة برامج كل من إذاعتي تطوان والحسيمة لموسم 2021 وقامت بجرد كل من البرامج كما هو مبين في الجدول أدناه:

برامج إذاعتي تطوان والحسيمة لموسم 2021	
إذاعة تطوان	**إذاعة الحسيمة**
- نبش في الذاكرة	- لقاء الزوال
- الكلمة الطيبة	- ميكروفون الشباب
- صباح الخير تطوان	- بعيون جمعوية
- منتدى الجهة	- أسئلة قانونية
- استشارة قانونية	- أنشطة قطاعية
- ألو دكتور	- متابعات
- ملامح ثقافية	- تجليات ثقافية
- السلوك القويم	- يسألونك
- الشوط الثالث	- أسريات
- ثيفاوين	- الكلمة الطيبة
- بين الدشار والدوار	- بانوراما
- ثيفراس.	- محاضرات جامعية
- فن وإبداع	- المساء الرياضي
	- الصحة ثمزوروث.

وبعد اجتماعها بمدير إذاعة تطوان السيد عبد الإله الحليمي، ومدير إذاعة الحسيمة السيد المصطفى الشيخي، تم الاتفاق على اختيار برنامجين من كلا الإذاعتين يتناسبان مع موضوع الدراسة على أن يتم اختيار الحلقات بطريقة عشوائية من قاعدة بيانات Netia Radio Production بإذاعة تطوان و-Dalet Plus Radio Pro duction بإذاعة الحسيمة.

مصفوفة التحليل

بعد اختيار برنامجين لهما علاقة بالحياة الثقافية والمجتمعية بتطوان والحسيمة، أسفر الاختيار العشوائي للحلقات (حلقتين من كل برنامج) عن المواضيع التالية:

من إذاعة تطوان

برنامج: بين الدشار والدوار
الحلقة الأولى: رصد الحياة القروية بدوار بني كولش إقليم وزان، مدتها 37.20 وبثت يوم الاثنين 20 ديسمبر 2021.

الحلقة الثانية: واقع الحياة القروية بدوار العزيب إقليم تطوان، مدتها 28.05 وبثت يوم الاثنين 01 مارس 2021.

برنامج: فن وإبداع
الحلقة الأولى: استعادة الأدوار الثقافية لمدينة تطوان، مدتها 31.58 وبثت يوم الثاثاء 09 نوفمبر 2021.

الحلقة الثانية: الإبداعات النسائية بتطوان، مدتها 34.11 وبثت ويوم الثاثاء 21 ديسمبر 2021.

من إذاعة الحسيمة

برنامج: أسريات الحلقة الأولى: "ثاويزا" مظاهر التضامن والتكافل بالحسيمة، مدتها 26.50 وبثت يوم الأربعاء 07 يوليو 2021.

الحلقة الثانية: تقاليد وطقوس الأعراس بالحسيمة، مدتها 24.36 وبثت يوم 28/07/2021.

برنامج: بانوراما الحلقة الأولى: مظاهر الترفيه عند المجتمع الريفي وطقوس السمر الليلي، مدتها 51.31 وبثت يوم الخميس 26 أغسطس 2021.

الحلقة الثانية: عادات الأكل القديمة بالحسيمة، مدتها 29.05 وبثت يوم الخميس 12 أغسطس 2021.

1- المقابلة المفتوحة:

أجرت الباحثة مقابات مع أساتذة متخصصين ومثقفين مهتمين بالثقافة المحلية ينتمون إلى مجتمع الدراسة:

- مقابلة مع الدكتور عبد الرحمن الزكريتي، أستاذ علم الاجتماع بجامعة عبد المالك السعدي بتطوان، وله دراسات ومؤلفات عن خصوصية المجتمع الأمازيغي بمنطقة الريف. وهو من مواليد مدينة الحسيمة.

- مقابلة مع الدكتور محمد عبد الوهاب العالي، أستاذ الصحافة والإعلام بالمعهد العالي للإعلام والاتصال، خبير في الإعلام والتواصل. وهو من مواليد مدينة تطوان.

- مقابلة مع الأستاذة حسناء داود، كاتبة ومؤرخة ومحافظة مكتبة محمد داود بتطوان، صدر لها حديثا كتاب بعنوان "تطوان، سمات ومامح من الحياة الاجتماعية" وهو الكتاب الذي تتناول فيه الباحثة جوانب من الحياة الاجتماعية بمدينة تطوان عبر عدة محاور من بينها وصف المجتمع التطواني بكل أطيافه وتاوينه..

- مقابلة مع الأستاذ عمر لمعلم، رئيس جمعية ذاكرة الريف بالحسيمة، مهتم بكل ما له عاقة بالريف كعادات وتقاليد الريفيين وتاريخهم..

2- المقابلة عن طريق الاستبيان:

وجهت الباحثة استمارة تم تحكيمها من طرف الأستاذة الدكتورة أسماء الملكاوي المشرفة على هذا البحث، لكل الصحفيين المشتغلين بإذاعة الحسيمة وإذاعة تطوان وأيضا لمديري الإذاعتين بحكم أنهما أيضا صحفيان يعدان ويقدمان برامج إذاعية.

- مجتمع البحث

مدينة تطوان

تقع مدينة تطوان على ساحل البحر الأبيض المتوسط، بين مرتفعات جبل درسة وسلسلة جبال الريف، وتتميز بمزجها بين الحضارة الأندلسية الإسلامية والثقافة المغربية، ويظهر الطابع الأندلسي جليا في هندستها المعمارية وتراثها الفني، وقد تم إدراجها ضمن قائمة التراث العالمي لمنظمة "يونسكو" عام 1998. "وتطوان مدينة لها تاريخ طويل، بنيت على أنقاض مدينة "تمودة" التي تعود للقرن الثالث قبل الميلاد، دمرها الرومان عام 42 قبل الميلاد، وفي أوائل القرن الرابع عشر، وتحديدا عام 1307 أعاد السلطان المريني "أبو ثابت" بناءها لتحرير مدينة سبتة من الإسبان، لكن الملك "هنري الثالث" دمرها بالكامل سنة 1399. وفي نهاية القرن الخامس عشر، وتحديدا بعد سقوط مملكة غرناطة عام 1492، خرج أهالي الأندلس واستقروا في مدينة تطوان، وأعادوا بناءها مرة أخرى، وأدخلوا الأنماط العمرانية الأندلسية في المدينة الجديدة، وهكذا امتزجت الثقافة الأندلسية مع نظيرتها المغربية في مدينة تطوان من مطلع القرن السادس عشر الميلادي[6]". وحسب الكاتبة والمؤرخة المغربية التطوانية حسناء داود فإنه برجوعنا إلى تاريخ تطوان الحديث، أي منذ إعادة تجديدها من طرف المهاجرين الأندلسيين في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، "نجد أن هذه المدينة، قد نشأت بها ولها ثقافة معينة، تعتمد أساسا على مختلف العناصر التي تكونت منها ساكنتها، من أندلسيين وأهالي المنطقة التي تقع فيها المدينة وما جاورها، وكذا ممن تقاطر عليها من مدينة فاس ومن القطر الجزائري الشقيق فيما بعد، ومن هنا كانت الثقافة البارزة في تطوان، هي ذلك المزيج المتناسق بين الاهتمامات والقيم التي ما لبثت أن انصهرت -بانصهار تلك الساكنة فيما بينها- في قالب معين له خصوصياته ومميزاته التي جعلت منه نموذجا فريدا لا شك أنه خضع فيما بعد لتطورات عديدة، نظرا لما خضعت له المدينة من أوضاع سياسية واجتماعية واقتصادية عبر القرون التي عاشتها"[7].

مدينة الحسيمة

إقليم الحسيمة هو أحد الأقاليم المغربية الموجودة بشمال المملكة المغربية وينتمي لجهة طنجة – تطوان – الحسيمة، يقع شمال البلاد على الشريط المتوسطي، ويسمى بمنطقة "الريف"، وأغلب سكانه من الأمازيغ (ريافة) ومنه أخذوا تسميتهم، كما أن الثقافة الأمازيغية هي السائدة في المنطقة وهي الهوية الأبرز. "وقد خضع الريف كباقي مناطق وسط المغرب للحكم الروماني ولإماراته ومنها موريتانيا الطنجية. وخلال الفتح الإسلامي خضع الريف للخلافة الأموية في الأندلس، وشارك الأمازيغ بفعالية في الفتوحات الإسلامية، ومن أعلامهم في هذا الباب الفاتح طارق بن زياد. وفي الفترة الحديثة والمعاصرة، وقع الريف تحت الاستعمار الإسباني، وقاد محمد بن محمد بن عبد الكريم الخطابي ثورة شرسة ضد الإسبان وهزمهم في معركة أنوال (1921)، وأعلن تأسيس جمهورية الريف"[8].

ومع توالي السنين، توافد على المدينة مواطنون قادمون من البوادي المجاورة، وتعايشت الساكنة مع بعضها البعض رغم اختلاف اللغة والثقافة والدين، ومنه بدأت تتشكل مظاهر ثقافية تمزج بين النمط الأوروبي والتشبث بالقيم التقليدية، فشهدت المدينة تطورا على العديد من الأصعدة، وحسب الأستاذ عمر لمعلم رئيس جمعية ذاكرة الريف، فإن ما يميز الحسيمة حاليا هو "وجود العديد من التعبيرات الثقافية وارتفاع مستوى الوعي في التعاطي مع قضايا الساعة، مع تمكن ساكنتها من الحفاظ على لغتهم الأصلية والدفاع عن تاريخهم العريق واستمرارهم في التشبث بعاداتهم ومواسمهم الاحتفالية مثل الاحتفال بالفاتح من السنة الأمازيغية" ...

[6] https://al-ain.com/article/moroccan-tetouan-andalusian-civilization

[7] داود، حسناء، مقابلة مع الباحثة بتاريخ 23 فبراير 2022

[8] الجزيرة.نت. "'الريف'.. منطقة مغربية أرقت الاحتلال الإسباني والفرنسي." مدن ومناطق | الجزيرة نت. Al Jazeera, July 30, 2016. https://bit.ly/3orJMBw.

[9] المعلم، عمر، مقابلة مع الباحثة بتاريخ 24 فبراير 2022

إذاعتا تطوان والحسيمة:

تنتمي كل من إذاعتي تطوان والحسيمة[10] إلى القطب العمومي (الشركة الوطنية للإذاعة والتلفزة) وتخضعان لدفتر تحملات ينص على أن الخدمة العمومية للاتصال السمعي البصري تهدف إلى:

- ترسيخ الثوابت الأساسية للمملكة المغربية كما هي محددة في الدستور، والمتمثلة في الدين الإسلامي السمح والوحدة الوطنية المتعددة الروافد...

- تعزيز مقومات الهوية الوطنية الموحدة التي تنصهر فيها كل المكونات العربية الإسلامية والأمازيغية والصحراوية الحسانية الغنية بروافدها الإفريقية والأندلسية والعبرية والمتوسطية، والمتميزة بتبوئ الدين الإسلامي مكانة الصدارة فيها، مع التشبث بقيم الانفتاح والاعتدال والتسامح والحوار، والتفاهم بين الثقافات والحضارات الإنسانية جمعاء وفق ما يقر به الدستور.

- حماية اللغتين الوطنيتين الرسميتين العربية والأمازيغية...

- إشعاع الثقافة والحضارة المغربيتين...

- تعزيز روابط الأسرة وتقوية تماسكها واستقرارها، والنهوض بحقوق المرأة وكرامتها وتحسين صورتها وحماية الطفل والجمهور الناشئ...

- المساهمة في تعزيز وتقوية الروابط الهوياتية للمغاربة المقيمين بالخارج...[11]

تبث الإذاعتين عبر موجات FM وعبر التقنية الرقمية على موقع الشركة الوطنية للإذاعة والتلفزة، لكن بث برامجها يكون بشكل مباشر، لا يستطيع المتلقي العودة للاستماع إليه في وقت لاحق...

كما أن الإذاعتين ليست لهما صفحات رسمية على مواقع التواصل الاجتماعي للترويج لما تنتجانه من فقرات وبرامج، ولا تتوفران على استراتيجية للإشهار كاللوحات الإعلانية في الشوارع مثلا... علما أنهما تبذلان مجهودا كبيرا من ناحية جودة البرامج وتنوعها، لكنها لا تصل إلى شريحة كبيرة من الناس، وبالتالي من فاته برنامج ما في توقيت بثه، لن يتمكن من سماعه مجددا.

إذاعة تطوان

تعتبر مدينة تطوان من أعرق المدن التي تميزت بحضور إعلامي سمعي منذ فترة الاستعمار، تمثل في وجود إذاعة ناطقة بالعربية والإسبانية كانت تسمى "راديو درسة"، لوقوعها آنذاك بمنطقة جبل درسة، وفي سنة 1984 أعيد افتتاحها وأطلق عليها اسم "إذاعة تطوان الجهوية"، وبدأت تبث برامجها باللغات العربية والإسبانية والريفية، لتقتصر فيما بعد على تقديم خدمتها الإعلامية باللغتين العربية والريفية فقط، ويخصص فيها حيز زمني هام يُعنى بالهوية والثقافة المحلية، وإعادة الاعتبار لتراثها وعاداتها ومعمارها وفنونها، وقد شرعت، منذ 18 يناير 2011م، في العمل بتقنية البث "الهيرتزي" الرقمي عوض البث التناظري السابق، وكانت بذلك أول إذاعة عمومية تابعة للشركة الوطنية للإذاعة والتلفزة تشرع في العمل بهذه التقنية التي من المنتظر أن تعمم على باقي الإذاعات الجهوية[12].

إذاعة الحسيمة

تنتمي إذاعة الحسيمة الجهوية بدورها إلى الشركة الوطنية للإذاعة والتلفزة، وتبث برامجها بالعربية والريفية، تم إحداثها سنة 2009 لمواكبة أنشطة التنمية التي تعرفها مناطق الريف المغربي، وتساهم في تسليط الضوء على مجموعة من القضايا التي تهم ساكنة هذه المناطق، وكذا الاهتمام بالموروث الثقافي والفني الغني والمتنوع بهذه الربوع. تعتمد في بث برامجها التي تبث عبر موجة FM وأيضا عبر تقنية البث الرقمي المباشر، على طاقم إذاعي أغلبه من ساكنة المنطقة لإدراكه ووعيه بخصوصيتها وبرصيدها الثقافي والتراثي الإنساني.

[10] يمكن الاستماع إلى إذاعة تطوان عبر الرابط التالي: snrtlive.ma/radios-regionales

[11] https://www.haca.ma/sites/default/files/SNRT.pdf

[12] مقتطف من مقال https://presstetouan.com/news24176.html

الفصل الثاني: الإطار النظري للبحث والدراسات السابقة

- تعريف المفاهيم

الإثنوغرافيا:

قبل اطلاعها على الدراسات السابقة لموضوع البحث، كان لزاما على الباحثة أن تبحث في مجالي الأنثروبولوجيا والإثنوغرافيا وتجد ما يمكن أن يربط بينهما وبين مجال الصحافة والإعلام فيما يتعلق بالمضمون الأنثروبولوجي الذي يعتمد على المنهج الإثنوغرافي ويتم تقديمه عبر الوسائط المتعددة.

فإذا كانت الأنثروبولوجيا "تتيح لنا من ناحية أن نرى الجنس البشري ككل، وتساعدنا على الوصول إلى فهم أعمق لهذا الكائن العجيب في كل مكان وفي كل زمان... وتجعلنا نعتاد على الطريقة التي ننظر بها إلى الثقافات والمجتمعات الإنسانية وننتقل بسهولة من الجزئي إلى العام والعكس صحيح[13]، فإن الإثنوغرافيا هي وصف دقيق لكل ما نراه أو نسمعه... أصغر ظاهرة وأصغر سلوك من الحياة اليومية يظهر لنا بالكامل[14]. كما أن الباحث "جون بريوار" John D. Brewer عرفها في مقدمة كتابه "الإثنوغرافيا" بأنها العلم الذي يدرس الناس في أماكنهم الطبيعية عن طريق أدوات تلتقط مختلف المعاني والممارسات اليومية التي يكون فيها الباحث مشاركا عن كثب، بغية جمع البيانات بطريقة منهجية دون أن يتدخل في تغيير معانيها[15].

وحسب الباحث فيترمان David Fetterman فإن الباحث الإثنوغرافي يقوم بوصف ثقافة جماعة معينة، أو أحد فصول الحياة اليومية في الطبقة المتوسطة من ضواحي المدن[16].

الصحافة المتأنية:

الصحافة المتأنية مصطلح جديد في عالم المهنة، ويبدو أنه صادر من بين العديد من النقاشات التي تدور حول حال مهنة الصحافة ومآلها في ظل ما يعرف بالعصر الرقمي، الذي شهد ما يمكن تسميته التخلي عن كثير من قواعد العمل الصحفي ومحدداته المهنية وموجباته الأخلاقية، من أجل السرعة، أي سرعة نشر الأخبار في سياق التنافس بين وسائل الإعلام بعضها البعض، أو بين هذه الوسائل ووسائط التواصل الاجتماعي[17].

هنا كان لا بد من ظهور نوع أو نمط صحفي جديد يُعطي أهمية للحدث ويهتم بجودة القصة الصحفية وقيمتها، والوظيفة الاتصالية والإعلامية التي تؤديها بالنسبة للفرد والمجتمع، وهذا النوع الجديد من الصحافة هو ما يطلق عليه الصحافة المتأنية أو الصحافة البطيئة التي تعد امتدادا للحركة البطيئة التي ظهرت في روما عام 1986م لإبطاء وتيرة الحياة وكانت تستهدف شركات إنتاج الطعام السريع غير الصحي، تدريجيا بدأت تدخل هذه الحركة مختلف المجالات ومنها الإعلام والصحافة والنشر، حتى أصبحت ثقافة تبحث عن الجودة والنوع قبل الكم[18]. كان أول ظهور لمصطلح الصحافة المتأنية عام 2007 في مقال نُشر في مجلة Prospect البريطانية ذكرت فيه الكاتبة سوزان غرينبرغ بأن العالم يحتاج إلى صحافة تنظر إلى الأحداث والقصص من منظور آخر مختلف تماما عما هو متاح في وسائل الإعلام[19].

تطور مصطلح الصحافة المتأنية منذ ظهوره أول مرة لكن الدراسات الأكاديمية التي تناولته قليلة جدا وقد صدر جلها بالإنجليزية في شكل أوراق بحثية، وهناك عدد معتبر من مقالات الرأي للأكاديميين والصحفيين حول الموضوع. أما على مستوى العالم العربي فلا يزال الموضوع جديدا رغم مرور سنوات على ظهوره[20].

[13] أبو زيد، أحمد، "محاضرات في الأنثروبولوجيا الثقافية"، دار النهضة العربية، 1978، ص 204، بيروت

[14]François Laplatine, "L'ethnologue, le traducteur et l'écrivain, "Meta," vol 40, n 3, septembre, 1995, p 505

[15]John D. Brewer, `` Ethnography``, Open University Press, Buckingham, first published, 2000, p 10

[16]David Fetterman, ``Ethnography: Step-by-step``, Applied Social Research Methods Series, Sage Publications, 1998, p11

[17] الكباشي، عثمان، الصحافة المتأنية.. تعميق المحتوى في زمن السرعة | الجزيرة نت (aljazeera.net)

[18] رفعت، حسني، صحافة متأنية في عصر الأخبار العاجلة،
https://portal.arid.my/Publications/e02cda28-55bb-4664-9a1-6c0c13d54359.pdf

[19]GREENBERG, Susan, "Slow Journalism." Prospect Magazine February 25, 2007

[20] معافة، صلاح الدين، بنية الصحافة المتأنية وأساليب التأثير في الجمهور، معهد الجزيرة للإعلام، 2019

علاقة مفهوم الصحافة المتأنية بالصحافة الإثنوغرافية:

وجدت الباحثة وهي بصدد الاطلاع على ما صدر من أبحاث ودراسات لها علاقة بموضوع صحافة الأنثروبولوجيا ودورها في الحفاظ على الثقافات المحلية والقيم المجتمعية.. وجدت دراسة أصدرها معهد الجزيرة للإعلام من إنجاز الباحثة بيسان غالب جابر في إطار برنامج الزمالة لسنة 2021، يؤكد أن العمل بالمنهج الإثنوغرافي في العمل الصحفي لا يعرف بالضرورة بـ"الصحافة الإثنوغرافية" في العالم العربي ولكنه يرتبط بصحافة ما وراء الخبر والقصص الإنسانية والصحافة المجتمعية، وما يلزم لإنتاجه كالتركيز على القصة الشخصية أو الكتابة الإبداعية والسردية.

وخلص البحث أيضا إلى أن الاختلاف المعرفي ما بين الأطر النظرية لكل من علم الأنثروبولوجيا ومهنة الصحافة لا يمنع الدمج بينهما، بل يمكن أن تحسن الأنثروبولوجيا من أداء المؤسسات والهيئات الصحفية وتطور دورها من خلال تعزيز مركزية الإنسان وقصته فلا يكون الحدث أهم من الأفراد المعنيين. ثم قدمت الدراسة توصيات عديدة أبرزها: ضرورة إدراج أهم أدوات البحث النوعي والمبادئ الإثنوغرافية ضمن التخصصات الجامعية الأكاديمية التي تدرس الصحافة والإعلام، وتوفير المؤسسات الصحفية التدريبات العملية التي تجمع بين المنهجين، حيث يمكن لهذا المنهج توسيع آفاق العمل الصحفي العربي ليشمل قضايا اجتماعية تؤثر وتتأثر بالرأي العام، وتعكس وجهة نظر المجتمع نفسه[21].

وفي هذا السياق، يذهب الدكتور محمد عبد الوهاب العلالي الخبير في مجال الصحافة والإعلام[22] إلى أن الدراسة المشار إليها سابقا[23] تبقى صحيحة باعتبار أن نتائجها قد تساعد على تثمين المنتج الصحفي حيث من شأن الأنثروبولوجيا الثقافية والأنثروبولوجيا الاجتماعية أن تشكل دائما داعما للتكوين المهني الجيد للصحفيين وانفتاحهم على قضايا ثقافية واجتماعية أكثر عمقا من مجتمعاتهم، ولا يمكن إلا تثمين هذا المسار الاندماجي بين مجال الصحافة والإعلام من زاوية الحفاظ على الثقافات المحلية وفهمها واستيعابها على نحو صحيح.

وعلى اعتبار أن الصحافة الإثنوغرافية أو الإعلام الإثنوغرافي ينتمي لنمط الصحافة المتأنية الذي يعتمد على العمق والجودة، فقد خلصت دراسة لسكور لحسن والرايس أمينة بعنوان الصحافة المتأنية في عصر الميديا الاجتماعية أي مستقبل؟ إلى أن هذا النمط الجديد يعد مطلبا ملحا في الوقت الراهن حيث نعيش في زمن ما بعد الحقيقة الموسوم بالمعلومات المضللة وثقافة التبسيط والتسطيح الناتجة عن السرعة، ولعل عودة الصحافة المتأنية قد يعيد للعمل الإعلامي قيمته وجدواه[24].

في حين يصف محمد خمايسة هذا النمط في مقال له تحت عنوان: كيف تحارب الصحافة المتأنية الوجبات السريعة؟ بأنه يسعى للحفاظ على قيم الصحافة الأصيلة، المتمثلة في العمق والرصانة والنضج والفهم الشامل للأحداث، والتصدي للحياة السريعة التي خلخلت تلك القيم... فالحاجة الملحة لانتشار ثقافة الصحافة المتأنية عربيا، تتأتى من كون الشارع العربي يضج بالأحداث المتسارعة المتلاحقة التي تحول الصحفي إلى آلة كاتبة تنقل المعلومات، مما يحول دون ممارسته لأهم أدواره التي يتحمل مسؤوليتها الأخلاقية تجاه المجتمع، وهي تزويده بالمعرفة الشاملة الدقيقة الناضجة حول الأحداث، بمعزل عن أي آراء.

وهذا يستلزم من الصحفي التعايش والتفاعل مع الأحداث بطريقة متأنية تؤمن له مَقعدا مطلا على المسرح كاملا، لا على زاوية محددة من زواياه[25].

---

[21] غالب جابر، بيسان، المنهج الإثنوغرافي في الصحافة العربية، إصدارات معهد الجزيرة للإعلام، 2021

[22] مقابلة الباحثة مع الدكتور محمد عبد الوهاب العلالي بتاريخ 30 مارس 2022

[23] الدراسة التي أصدرها معهد الجزيرة للإعلام من إنجاز الباحثة بيسان غالب جابر في إطار برنامج الزمالة لسنة 2021

[24] الرايس، أمنية وسكور، لحسن. (2019). الصحافة المتأنية في عصر شبكات التواصل: ما إمكانيات نجاحها؟. https://bit.ly/3BfJpSa .37-32 .Spring 2019

[25] خمايسة، محمد. "كيف تحارب الصحافة المتأنية الوجبات السريعة؟" مجلة الصحافة. معهد الجزيرة للإعلام، https://bit.ly/3PZFddc .March 28, 2019

الفصل الثالث: الإطار التطبيقي للبحث

المعالم الثقافية لشمال المغرب وفق رأي الخبراء

الهوية الثقافية بشمال المغرب

إن الحديث عن الهوية الثقافية لمجتمع ما، هو حديث عن القيم الثقافية الشائعة فيه، والمجتمع بشمال المغرب يضم مكونين أساسيين هما المكون الريفي والمكون الجبلي، وحسب أستاذ علم الاجتماع بجامعة عبد المالك السعدي بتطوان الدكتور عبد الرحمن الزكريتي، فإن هناك بعض الاختلافات التفصيلية بخصوص التراث الشعبي والاختيارات السوسيواقتصادية والحرف التقليدية والأعراف وأشكال الاحتفالات ومعالم العلاقة بالحضارات السابقة خصوصا الأندلسية والممارسات الثقافية الطقوسية المحلية لكل منهما. لكن، رغم الاختلافات التي يمكن تسجيلها، فالحدود بين المنطقتين الثقافيتين، الريفية والجبلية، كانت تاريخيا مفتوحة للعبور بينهما، مما خلق مساحات مفتوحة للتعايش والانسجام الثقافي بين مختلف مكونات المجتمع بشمال المغرب[26].

فإذا أخذنا على سبيل المثال مدينة تطوان، فإن المؤرخة حسناء داود تؤكد أن المجتمع التطواني تميز بشكل واضح بارتباطه القوي بمظاهر التدين والدفاع عن المقدسات الدينية ضد من يرغب في المس بها، بل إنها كانت منطلقا للمجاهدين المناضلين من أجل سلامة مدن المنطقة والثغور المجاورة لها، ولعل أبرز دليل على ذلك أنها قد احتضنت مصنعا للسلاح (دار البومبة) المعتمَد للدفاع عن هذه المقدسات ولرد أطماع العدو غير أن هذا الدفاع المستميت عن هذه المقدسات كان يحمل بين طياته تشبعا قويا للمجتمع التطواني بروح وجوهر التعايش والتضامن، "ولعلنا حينما نركز الكلام على المقدسات الدينية، فإننا نجمل ضمن ذلك كل القيم الروحية والمثل العليا التي تضمن التناسق والتعايش في ظل النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي المتعارف عليه، في سياق المسار الذي اختاره الشعب المغربي المتشبث بثوابته الضامنة لأمنه وسلامته"[27].

وبمنطقة الريف، تتجسد أنماط أخرى من التعايش والتضامن بهدف حماية الممتلكات "ودحض كل الطغاة الراغبين في الاستيلاء على خيراتهم ونهب أملاكهم واستعبادهم، كما عرف عن الأمازيغ احترامهم للآخرين وحبهم للحرية وصونهم لكرامتهم". ويذكر الأستاذ عمر المعلم الفاعل الجمعوي بالحسيمة، بعض مظاهر الحياة بمنطقة الريف المتسمة بالغنى والتنوع، كـ"تنظيم الاحتفالات خلال المناسبات ذات العلاقة بالطبيعة أو خلال الأعراس والأعياد الدينية، حيث يسود نوع من التسامح، ويسمح للنساء بالرقص والغناء.. ويسود التشبث بالهوية والانتماء الحضاري.. وتوقف أيضا عند بعض الخصائص التي لا يزال المجتمع الريفي يراهن على حمايتها من الاندثار وترسيخها لدى الأجيال الحالية من قبيل ما يعرف ب "ثاويزا" أو التعاون والعمل التضامني[28].

الدمج بين مجال الصحافة والإعلام ومجال الأنثروبولوجيا ودوره في الحفاظ على الثقافات المحلية

يرى الدكتور محمد عبد الوهاب العلالي، أن الدراسات الإعلامية أو الممارسة الإعلامية التي تهتم بما هو آني من أحداث ووقائع وكثير من الأجناس الصحفية، "لا يمكن أن تتطور كممارسة صحفية مثرية ورفيعة تمد القارئ بالمعلومات، إلا إذا تمكنت من الربط بين ما هو كورنولوجي (علم قياس الزمن) وما هو سانكروني (تزامني)، فهنا تشكل الأنثروبولوجيا علما مساعدا في منح الصحفي والإعلامي قدرة على النظر إلى الظواهر على خلاف المواطن العادي، أي من خلال نظرتها الراهنة والآنية وأيضا من خلال مراحل تطوراتها التاريخية القريبة والبعيدة. وكلما كان الصحفي متمكنا من معرفة الجوانب الأنثروبولوجية للظواهر الثقافية المحلية وما تتضمنه من قيم مجتمعية؛ تمكن من تقديم تحليلات جدية وجدلية تنظر إلى الظواهر في إطار مسار تطورها التاريخي وما تتميز به من خصائص وتعددية وتنوع"[29].

[26] الزكريتي، عبد الرحمن، مقابلة مع الباحثة بتاريخ 15 فبراير 2022.
[27] داود، حسناء، مقابلة مع الباحثة بتاريخ 23 فبراير 2022
[28] المعلم، عمر، مقابلة مع الباحثة بتاريخ 24 فبراير 2022
[29] مقابلة الباحثة مع الدكتور محمد عبد الوهاب العلالي بتاريخ 30 مارس 2022

يهكذا يمكن اعتبار الأنثروبولوجيا بمثابة علم مساعد بالنسبة لعلوم الصحافة والإعلام، وأنه ثمة قواسم مشتركة بين المجالين من حيث المنهجيات والتقنيات المعتمدة.

وفيما يتعلق بأهمية الدمج بين المجالين حفاظا على الثقافات المحلية، فإن مجال الصحافة والإعلام رغم تركيزه على الإخبار والتوعية، فإنه يشتغل بشكل مباشر على كل ما له علاقة بالموروث الثقافي وبأنماط وسلوكيات العيش داخل المجتمعات، مستفيدا بذلك مما يتيحه عدد من الأجناس الصحفية من تعميق البحث والدراسة في خصوصية هاته الأنماط. وبدورها تهتم الأنثروبولوجيا بالثقافات الإنسانية عبر الزمن، نظرا لما تتيحه من إمكانية تحليل هذه الثقافات ومقارنتها لمعرفة مدى تقاربها أو اختلافها، حيث يرى الدكتور عبد الرحمن الزكريتي أنه يمكن للإعلام أن يستفيد من الدرس الأنثروبولوجي لتحقيق القرب من الناس والبحث عن أنجع الوسائل لتبليغ خطابه الوسيط بين المعرفة العالمة والمعرفة العامية، كما أن التأطير الإجرائي أو النظري للثقافات المحلية وتحليلها أنثروبولوجيا يسمح بفهم عام لجل التغيرات المحدثة. إذ ستسمح مثل هذه المقاربة بخلق محتويات صحفية محملة بمعارف علمية، يمكن تقديمها في محتويات إخبارية مباشرة وصريحة أو ضمنية، وهو ما سيسمح بتعزيز القدرات التحليلية الصحفية لمكونات الثقافات المحلية، وإبراز إيجابيات استمرارها كخزان لقيم التماسك والتضامن والتعايش التاريخي داخليا واتجاه الخارج[30].

عوامل تأثير الثقافات الخارجية في الهوية العربية والأمازيغية بتطوان والحسيمة

مما لا شك فيه أن التطور الرقمي والغزو التكنولوجي كان لهما تأثير كبير في تغيير العديد من الأنماط والسلوكيات المجتمعية، نتيجة قابلية الإنسان للتأثر والتأثير، حيث يرى الدكتور عبد الرحمن الزكريتي أن الانفتاح على الثورة الرقمية وإنتاجاتها، جعلت عددا من تلك القيم تضعف ضمن مفارقة تتعارض بفعلها القناعات والممارسات، وصار هذا الأمر شائعا في كل مناطق العالم، خصوصا مع التوزيع المكثف للمادة الإعلامية بما ينتج ثقافة جماهيرية مبنية على فوضى المعلومة وتشتت القناعات الجماعية وتدمير الثقافات المحلية[31]، غير أن المؤرخة حسناء داوود ترى أن هنالك عوامل إضافية تدخل في صلب هذه التغيرات التي تؤثر في الثقافات المحلية على غرار ما حدث في المجتمع التطواني، وتلخص عناصر التأثير في نقطتين رئيسيتين:

- أولهما أن تطوان كانت وما زالت نقطة عبور بين قارتين، لكل منهما خصوصيات ثقافية معينة، وذلك مما يجعلها محطة لكل من يمر عبرها، فيؤثر فيها ويتأثر بها.
- وثانيهما أنها خضعت لفترات تاريخية كانت فيها مقصدا لوجود الإسبان بها بوجه خاص، فقد دخلوا إليها أواخر القرن 19 (بعد حرب تطوان سنة 1860)، ثم دخلوا إليها مرة ثانية بعد فرض الحماية سنة 1912، حيث استمر وجودهم بها ما يقرب من نصف قرن (1913 – 1956) ولقد كانت تطوان من جراء ذلك مركزا استقبل جالية مهمة من الشعب الإسباني الذي فرض وأشاع لغته وثقافته ومناهجه التعليمية، الأمر الذي كان له انعكاس كبير على العقلية المغربية، وعلى الثقافة المحلية التي تشبعت بما جد عليها من اطلاع على اللغة الأجنبية ومن اهتمامات ثقافية لا شك أنها أضفت على الثقافة المحلية المحدودة نوعا من الانفتاح وكذا التأقلم، مع مظاهر التجديد المتمثلة في الإقدام على العلوم العصرية والاطلاع على الأدب العالمي، إلى جانب الاهتمام بترجمة الآثار والإنتاج الفكري الغربي إلى اللغة العربية، بعد أن كان الأهالي مقتصرين في ثقافتهم على العلوم الدينية الصرفة. هذا بالإضافة إلى ما ظهر من تفتح في العقليات التي أصبحت تؤمن بضرورة حرية الرأي والتعبير، ومساهمة المجتمع في الاهتمام بالشأن المحلي، وذلك بإنشاء الجمعيات والهيئات والمؤسسات المساعدة على تحسين مظاهر الحياة بصفة عامة.

[30] الزكريتي، عبد الرحمن، مقابلة مع الباحثة بتاريخ 15 فبراير 2022.
[31] الزكريتي، عبد الرحمن، مقابلة مع الباحثة بتاريخ 15 فبراير 2022.

ناهيك عما ساد الساحة من عناية بتأسيس الصحافة الحرة المتنوعة، وكذا المساهمة في إصدار الكتب والمؤلفات في شتى مجالات البحث[32].

وغير بعيد عن مدينة تطوان، وبحكم القرب الجغرافي، فإن إقليم الحسيمة لم يسلم من عملية التأثر التي طالت المجتمع الريفي، إذ إن المنطقة هي الأخرى تعرضت للاستعمار الإسباني الذي يرى فيه الفاعل الجمعوي عمر المعلم أنه ترك تأثيرا سلبيا وآخر إيجابيا يتمثل في التشجيع على تعلم اللغات والقدرة على التواصل مع الغير، وتحسين طرق العيش سواء تعلق الأمر بالطبخ أو ارتداء الملابس أو بناء المنازل. وكذلك في الدفع بشباب المنطقة إلى تطوير الإيقاعات الموسيقية واستعمال آلات جديدة، ناهيك عن تطوير المسرح. وعلى المستوى السلبي يمكن أن نذكر سقوط البعض في الازدواجية والتشكيك في الذات، والشعور بالنقص واعتبار الأجنبي هو الأقوى وثقافته هي الأفضل. كما أن هذا التأثير خلق نوعا من الصراع بين تيار سلفي غارق في الرجعية وتقديس الماضي والتشبث ببعض القيم البالية التي لم تعد صالحة لزمننا، وبين تيار تجديدي معاصر يريد العيش والاستفادة من العلوم والابتكارات الجديدة[33].

إذاعة تطوان/ برنامج فن وإبداع الحلقة الأولى: استعادة الأدوار الثقافية لمدينة تطوان

تحليل مضمون البرامج

تقدم كل من إذاعتي الحسيمة وتطوان التابعتين للشركة الوطنية للإذاعة والتلفزة المغربية مجموعة من البرامج الإذاعية التي تهدف إلى المحافظة على الثقافة المحلية.

لكن السؤال المطروح هو: هل العمل الذي يقوم به الصحفيون داخل هاتين الإذاعتين من بحث وجمع للمعلومات وإجراء للمقابلات مع الساكنة ومع المختصين، يعتبر عملا صحفيا أنثروبولوجيا أو بالأحرى إعلاما أنثروبولوجيا؟

تطلبت الإجابة عن هذا السؤال متابعة مضامين البرامج التي تقدمها الإذاعتين وتصنيفها، وبعد الاتصالات والمقابلات المباشرة التي أجرتها الباحثة مع مسؤولي إذاعتي تطوان والحسيمة محور الدراسة، تمكنت من الحصول على تسجيلات إذاعية تخص حلقات عشوائية من البرامج التي تم اختيارها، وتعنى بالثقافات المحلية وما تتضمنه من قيم مجتمعية بشمال المغرب، وتحديدا مدينة تطوان ذات الخصوصية الجبلية ومدينة الحسيمة المنطقة الريفية، وتم تحليلها على النحو التالي:

الإذاعة	البرنامج	مضمون الحلقة	تاريخ بثه	وتيرة بثه	المكون الثقافي	المكون القيمي	تقنيات المنهج الإثنوغرافي المستعملة
إذاعة تطوان الجهوية	فن وإبداع	استعادة الأدوار الثقافية لمدينة تطوان	09 نوفمبر 2021	برنامج أسبوعي	- السينما - القراءة - الشعر - الإرث الثقافي التاريخي	استحضار القيم الحضارية للمجتمع التطواني	- المقابلات المباشرة - الاعتماد على الأرشيف الملحي

[32] داود، حسناء، مقابلة مع الباحثة بتاريخ 23 فبراير 2022
[33] المعلم، عمر، مقابلة مع الباحثة بتاريخ 24 فبراير 2022

تناول برنامج "فن وإبداع" في الحلقة الأولى التي تم اختيارها بشكل عشوائي، إشكالية الهوية الثقافية لمدينة تطوان بين الماضي والمستقبل، حيث اعتمد الصحفي معد ومقدم البرنامج، على المقابلة المباشرة مع عدد من المسؤولين والمثقفين والفاعلين الجمعويين لأجل وضع تشخيص دقيق لأسباب تراجع الاهتمام بالشأن الثقافي بمدينة تطوان واقتراح جملة من الحلول الرامية إلى استعادة مدينة تطوان لماضيها المشرق المتسم بتعدد الروافد والبنى التحتية الثقافية.

ويتضح من خلال هاته الحلقة أن الصحفي اعتمد في عملية الإعداد على مخزون الذاكرة المحلية عبر تأكيده لمعطيات تشير إلى أن تاريخ مدينة تطوان كان مشرقا من الناحية الثقافية خاصة في مجالات الشعر والقراءة والسينما، إذ ارتبط اسم تطوان على المستوى الوطني بعدد من التظاهرات الثقافية والفنية الموسمية، وهو الشيء نفسه الذي تأكد على لسان الضيوف المستجوبين الذين أجرى معهم المقابلات الصحفية.

الحلقة الثانية: الإبداعات النسائية بتطوان

قدمت هذه الحلقة من برنامج "فن وإبداع" مدينة تطوان كمدينة للثقافة والفكر والإبداع، حيث تناول الصحفي معد ومقدم هذا البرنامج دور جامعة عبد المالك السعدي وتحديدا كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، كفضاء لاحتضان وإبراز مكانة المدينة ثقافيا من خلال تنظيم لقاءات تواصلية مع أدباء ومثقفين وبحضور الطلبة الجامعيين، حيث تضمنت هذه الحلقة تقريرا إخباريا تطرق إلى البعد الحضاري للمدينة وتشبع أهلها بالشعر والأدب.

من جانب آخر ركزت هذه الحلقة على الإبداع النسائي بالمنطقة باعتباره محورا أساسيا لهذا اللقاء التواصلي، باعتباره أيضا ملحمة من اللقاء التواصلي، وباعتباره أيضا ملحمة من ملامح التشبع الثقافي الذي مس مختلف مكونات المجتمع التطواني.
وساهمت عناصر التقرير الإخباري في استضافة عدد من الضيوف الذين أثنوا على دور الجامعة في إبراز البعد الثقافي بمدينة تطوان من خلال انفتاحها على المحيط. وهو ما من شأنه بحسب مضمون الحلقة التأسيس لفعل ثقافي يعنى بالمرأة المغربية.

الإذاعة	البرنامج	مضمون الحلقة	تاريخ بثه	وتيرة بثه	المكون الثقافي	المكون القيمي	تقنيات المنهج الإثنوغرافي المستعملة
إذاعة تطوان الجهوية	فن وإبداع	الإبداعات النسائية بتطوان	21 ديسمبر 2021	برنامج أسبوعي	- تثمين الإرث الثقافي لمدينة تطوان - دعم الإبداعات الثقافية النسائية	قيم الانفتاح على الإبداع النسائي	المقابلة المباشرة

إذاعة تطوان/ برنامج: بين الدشار والدوار

الحلقة الأولى: رصد الحياة القروية بدوار بني كلش إقليم وزان

نظرا لكون الحلقات الإذاعية محور الدراسة تم انتقاؤها بشكل عشوائي، فإن الحلقة الأولى من برنامج "بين الدشار والدوار" خصصت للحديث عن الحياة البدوية بدوار بني كلش جماعة بني قرة دائرة زومي بإقليم وزان، على اعتبار أن إذاعة تطوان هي إذاعة جهوية، وبالتالي فهي تغطي مختلف العمالات المكونة لجهة طنجة- تطوان – الحسيمة، وهذه العمالات هي: العرائش- القصر الكبير – وزان – شفشاون – المضيق- الفنيدق – مرتيل. بالإضافة إلى تطوان. ولكون الباحثة ترتكز في دراستها بالأساس على مدينتي تطوان والحسيمة، فإن موضوع هذه الحلقة لا يتناسب مع الأهداف المتوخاة من هذا البحث.

الحلقة الثانية: واقع الحياة القروية بدوار العزيب إقليم تطوان

إن العينة موضوع الدراسة من برنامج "بين الدشار والدوار" قدمت وصفا دقيقا للحياة البدوية بدوار العزيب جماعة بني سعيد بإقليم تطوان، حيث صادفت الصحفية معدة ومقدمة البرنامج نساء من "الدوار" وتحدثت معهن بالعامية المحلية (الجبلية) في حوار مباشر وتلقائي، مما سهل عليها الغوص بشكل عميق في مختلف جزئيات الحياة البدوية خاصة عند المرأة القروية.

تطرقت السيدة الأولى إلى الأعمال التي تزاولها طيلة النهار بدءا من أشغال المنزل، وقوفا عند تربية الأبناء واهتمامها بالأعمال المرتبطة بالفلاحة، ومساعدة زوجها العاطل عن العمل، وتشجيعها لأبنائها الستة على مواصلة الدراسة، متحدية إكراهات الهدر المدرسي المتمثلة في ضعف الإمكانات المادية وغياب النقل المدرسي وصعوبة المسالك الطرقية.

في حين تناولت الصحفية مع السيدة الثانية وهي مستشارة جماعية من نساء المنطقة، أسباب انقطاع الماء الصالح للشرب مدة تزيد على 15 يوما وما ترتب عن ذلك من مشاكل اجتماعية.

أما السيدة الثالثة فقد حاول أبناؤها ثنيها عن إجراء الحوار حيث تبين بعد استفسار الصحفية عن المسألة، أن الأمر يعود إلى تعرض إحدى نساء المنطقة للتنمر بسبب إجرائها لمقابلة صحفية في وقت سابق، ما أدى إلى مغادرة السيدة للمنطقة بشكل نهائي جراء الضغط المجتمعي الذي طالها.

وارتباطا بهذه النازلة، أكدت الصحفية خلال الحلقة، أن الأمر يحتاج إلى مزيد من الوعي، خاصة وأن من أهداف البرنامج إيصال صوت ساكنة العالم القروي وتمكينها من حقها في الإعلام من منطلق أنه منبر لنقل معاناتهم إلى المسؤولين قصد إيجاد حلول لها.

الإذاعة	البرنامج	مضمون الحلقة	تاريخ بثه	وتيرة بثه	المكون الثقافي	المكون القيمي	تقنيات المنهج الإثنوغرافي المستعملة
إذاعة تطوان الجهوية	بين الدشار والدوار	واقع الحياة القروية بدوار العزيب إقليم تطوان	01 مارس 2021	برنامج أسبوعي	- نمط الحياة البدوية بإقليم تطوان - قوة شخصية المرأة القروية - الخصوصية الثقافية بالمنطقة	- التشبث بالأرض - قيم التضامن بين الأزواج - تجسيد المواطنة	- العمل الميداني - المقابلة المباشرة - توظيف لغة التواصل المحلية

إذاعة الحسيمة / برنامج: أسريات
الحلقة الأولى: "ثاويزا" مظاهر التضامن والتكافل بالحسيمة

الإذاعة	البرنامج	مضمون الحلقة	تاريخ بثه	وتيرة بثه	المكون الثقافي	المكون القيمي	تقنيات المنهج الإثنوغرافي المستعملة
إذاعة الحسيمة الجهوية	أسريات	رصد مظاهر الحياة بالقرى الريفية بجماعة بني بوعياش بإقليم الحسيمة	07 يوليو 2021	برنامج أسبوعي	- نمط الحياة البدوية بإقليم الحسيمة - الحفاظ على الموروث الثقافي	- قيم التضامن بين السكان	- العمل الميداني - المقابلة المباشرة - توظيف لغة التواصل المحلية

اعتمدت الصحفية معدة ومقدمة برنامج "أسريات" في هذه الحلقة على آلية الحوار المباشر لتصوير مظاهر الحياة بالمجتمع وتحديدا بجماعة بني بوعياش بإقليم الحسيمة، حيث أبرزت من خلال محاورتها لأحد الفلاحين بالمنطقة، بعض السلوكيات التي تؤسس لثقافة التضامن والتآزر بين أفراد المجتمع (ثاويزا). وتوسلت الصحفية في الوصول إلى أدق تفاصيل الحياة اليومية لهاته الأسر باستعمالها للغة المحلية، إذ تم رصد بعض هذه المظاهر المتمثلة في:

- الأشغال الفلاحية، حيث يعمد الفلاحون إلى مساعدة بعضهم البعض في جو احتفالي تشارك فيه النساء بترديد أغاني من التراث المحلي تعرف بـ "إزران"[34].

كما يحرصون على تناول الوجبات المحلية المتمثلة في الأكلة الشعبية الأساسية المعروفة لدى أهالي الريف باسم "ايوزان" المعتمدة في تحضيرها على الشعير، وهي الأكلة التي ترمز إلى الكرم وحسن الضيافة.
أشغال البناء: حيث تسارع ساكنة المنطقة إلى المساهمة في بناء مسكن لمن هم في حاجة إليه، دون الاستعانة بمقاول أو عامل بناء. وهو تجسيد لقيم التآزر والتضامن بين أفراد المجتمع الريفي.
جمع الحطب: يلجأ سكان المنطقة إلى جمع الحطب لأغراض الطبخ والتدفئة قبل حلول فصل الشتاء، حيث يتم تمكين الأسر المحتاجة من هذه المادة الأساسية دون مقابل.
عند الانتهاء من كل مهمة جماعية، يبادر الأهالي إلى الاحتفاء بإنجازاتهم التضامنية بواسطة الشعر والألوان الغنائية المحلية وتحضير الأكلات المعروفة بالمنطقة.

[34] يقول الباحث في الشأن الثقافي بالريف، محمد أسويق، في حديثٍ لـ"العربي الجديد": إن الأغنية الريفية لها جذور عميقة، وهذا مدوّن في أزيد من مائتي فقرة، سجلها الأنثروبولوجي الأميركي بول بوز. كما أنها مرتبطة تاريخيا بالإنسان في هذه المنطقة وبحياته اليومية". للمزيد، انظر:
إيقاعات-الريف-الأمازيغي/https://www.alaraby.co.uk

الحلقة الثانية: تقاليد وطقوس الأعراس بالحسيمة

الإذاعة	البرنامج	مضمون الحلقة	تاريخ بثه	وتيرة بثه	المكون الثقافي	المكون القيمي	تقنيات المنهج الإثنوغرافي المستعملة
إذاعة الحسيمة الجهوية	أسريات	تقاليد ومظاهر الاحتفال في الأعراس بإقليم الحسيمة	28 يوليو 2021	برنامج أسبوعي	- الحفاظ على الموروث الثقافي - إبراز عادات وتقاليد المجتمع الريفي	- قيم الفرجة والاحتفالية - قيم التلاحم الأسري - قيم حسن الجوار	- العمل الميداني - الملاحظة بالمشاركة - المقابلة المباشرة - توظيف لغة التواصل المحلية

ما ميز هذه الحلقة كون الصحفية معدة ومقدمة البرنامج حضرت أحد الأعراس للوقوف على مختلف محطات العرس الريفي، حيث نقلت للمستمعين من خلال النساء المدعوات، أجواء الاحتفال من طرف أسرة العروس والعريس:

- يبتدئ العرس الريفي بصباغة المنازل وتثبيت الأعلام على أسطحها من طرف شخص يحمل بالضرورة اسم محمد، إذ يتم وضع علم بثوب أبيض مزين بالورود بسطح منزل العروس، وعلم بثوب أحمر "تسبنيث" بسطح منزل العريس، ليعرف الجيران وسكان المنطقة بيت العريس من العروس.

- تكتفي العروس بأخذها لـ "حمام مغربي" داخل بيت أهلها، عكس باقي المناطق التي تتوجه فيها العروس صحبة قريناتها إلى حمام الحي.

- تحرص عائلة العروس على أن تتولى سيدة من نفس العائلة وتحمل بالضرورة اسم "فاطمة" مهمة تزيين أيدي وأرجل العروس بالحناء. مقابل ذلك، يتولى هذه المهمة شخص يحمل بالضرورة اسم "محمد" وينتمي لعائلة العريس.

- تقوم العروس وللمرة الأخيرة في حياتها، بترديد مقاطع حزينة من الشعر المحلي "إزران" تضفي جوا من الحزن لأنها ستغادر بيت أهلها.

- تعبر أم العريس عن رضاها ومباركتها هذا الزواج بضرب العروس بالعلم الأبيض الذي كان مثبتا على السطح، ويتم أخذه إلى بيت العريس.

ومن العادات التي تم تركها وذكرتها إحدى المستجوبات، هي عادة مرافقة سيدة مسنة للعروس تتولى توزيع بعض الحلوى على الأطفال نيابة عن العروس، وتبيت معها رفقة مجموعة من بنات العائلة. حيث يقوم العريس صبيحة اليوم الموالي بإكرام الضيوف وإعداد للشاي المغربي بنفسه، كما أنه يوزع مبالغ مالية عليهن بالتساوي.

إذاعة الحسيمة / برنامج: بانوراما
الحلقة الأولى: مظاهر الترفيه عند المجتمع الريفي وطقوس السمر الليلي

الإذاعة	البرنامج	مضمون الحلقة	تاريخ بثه	وتيرة بثه	المكون الثقافي	المكون القيمي	تقنيات المنهج الإثنوغرافي المستعملة
إذاعة الحسيمة الجهوية	بانوراما	مظاهر الترفيه عند المجتمع الريفي وطقوس السمر الليلي	26 أغسطس 2021	برنامج أسبوعي	- نمط الحياة البدوية بإقليم الحسيمة - الحفاظ على الموروث الحكائي الشفهي	- قيم التماسك الأسري - خلق أجواء الفرجة	- العمل الميداني - المقابلة المباشرة - توظيف لغة التواصل المحلية

سلطت الصحفية من خلال هذه الحلقة من برنامج بانوراما، الضوء على بعض مظاهر الترفيه عند المجتمع الريفي، خاصة المجتمع القروي. حيث تروي إحدى المستجوبات كيف تخلق النساء أجواء احتفالية لكسر روتين الحياة اليومية بعد يوم شاق من العمل في البيت.

وتطرقت الصحفية على لسان امرأة من إقليم الحسيمة، إلى أن النساء كن يحرصن على إتمام أشغال البيت قبل الغروب مع تحضير وجبة العشاء مبكرا للتغلب على مشكل الإنارة التي تنعدم مع غروب الشمس.

وكان السكان يعتمدون على الفوانيس التقليدية، أما الاحتفال أو السمر الليلي فكان عبارة عن حكايات (حجايات) من الموروث الشعبي، وتسردها الأمهات والجدات أمام أفراد الأسرة، ليتناولوا بعدها وجبة العشاء ويخلد الجميع إلى النوم في وقت مبكر استعدادا لليوم الموالي الذي ينطلق العمل فيه مع طلوع الفجر.

الحلقة الثانية: عادات الأكل القديمة بالحسيمة

الإذاعة	البرنامج	مضمون الحلقة	تاريخ بثه	وتيرة بثه	المكون الثقافي	المكون القيمي	تقنيات المنهج الإثنوغرافي المستعملة
إذاعة الحسيمة الجهوية	بانوراما	عادات الأكل القديمة بالحسيمة	12 أغسطس 2021	برنامج أسبوعي	- نمط الحياة البدوية بإقليم الحسيمة - الحفاظ على الموروث الثقافي	- قيم التضامن بين السكان	- العمل الميداني - المقابلة المباشرة - توظيف لغة التواصل المحلية

تحدثت الصحفية خلال هذه الحلقة من برنامج بانوراما، عن أنماط العيش في المجتمع الريفي وتحديدا عادات الأكل التي تحرص الأسر الريفية بحسب ما أكدته السيدة التي أجريت معها المقابلة، على الحفاظ عليها وجعلها من الأكلات الرئيسية والأساسية في المطبخ الريفي من قبيل أكلة "إوزان"... وهي أكلة قديمة تعتمد في إعدادها على المراحل التالية:

بعد حصاد القمح، واختيار أجود أنواعه، يتم طهيه وهو على شكل حبوب، ثم طحنه يدويا في البيت من قبل النساء ليستخلصوا من هذه العملية ما يسمى "إوزان" و"زمبو"، وبحسب ضيفة الحلقة فإن هذه العملية تتم حاليا بطرق عصرية.

ومن بين المأكولات الأخرى التي تم ذكرها خلال هذه الحلقة، أكلة "أفرفور" وتعني الكسكس المغربي، وتحرص الأسر الريفية على الحفاظ على هذه الأنواع من المأكولات الشعبية واعتمادها كوجبات أساسية في كل البيوت، رغم التغيرات التي طالت النظام الغذائي لدى الأسر المغربية سواء في المدن أو البوادي.

وكان السكان يعتمدون على الفوانيس التقليدية، أما الاحتفال أو السمر الليلي فكان عبارة عن حكايات (حجايات) من الموروث الشعبي، وتسردها الأمهات والجدات أمام أفراد الأسرة، ليتناولوا بعدها وجبة العشاء ويخلد الجميع إلى النوم في وقت مبكر استعدادا لليوم الموالي الذي ينطلق العمل فيه مع طلوع الفجر.

جدول النتائج

	تقنيات المنهج الإثنوغرافي المستعملة							
	المكونات الثقافية	المكونات القيمية	المقابلة بالمشاركة	المقابلات مع أفراد المجتمع	المقابلات مع المسؤولين / المختصين	الاستعانة بالأرشيف	الحلقات النقاشية	العمل الميداني	توظيف لغة التواصل المحلية
إذاعة تطوان	- السينما - القراءة - الشعر - تثمين الإرث الثقافي - دعم الإبداعات الثقافية النسائية - نمط الحياة البدوية - إبراز قوة شخصية المرأة القروية - الخصوصية الثقافية بالمنطقة	- استحضار القيم الحضارية للمجتمع التطواني - قيم الانفتاح على الإبداع النسائي - التشبث بالأرض - قيم التضامن بين الأزواج - تجسيد المواطنة		✓	✓	✓		✓	✓
إذاعة الحسيمة	- نمط الحياة البدوية - الحفاظ على الموروث الثقافي - إبراز عادات وتقاليد المجتمع الريفي - الحفاظ على الموروث الحكائي	- قيم التضامن بين السكان - قيم الفرجة والاحتفالية - قيم حسن الجوار - قيم التماسك الأسري	✓	✓	✓			✓	✓

لاحظت الباحثة من خلال الوقوف عند مضمون الحلقات الإذاعية موضوع الدراسة، أن هنالك اهتماما مشتركا بين الإذاعتين بكل ما له علاقة بالتراث والثقافات المحلية.

هذا الاهتمام الذي تترجمه شبكة برامج المؤسستين الإعلاميتين العموميتين المرتكز على احترام دفاتر التحملات التي تنص على ضرورة الاعتناء بالتراث والموروث الثقافي المحلي وأيضا بساكنة العالم القروي التي تشكل نسبا كبيرة بالمناطق الجغرافية بكل من تطوان والحسيمة.

كما تبين للباحثة أن الإذاعتين معا تتقاربان في طرق وأساليب المعالجة والمقاربة الإعلامية، وهو أمر طبيعي بحكم أن الصحفيين ينتمون لنفس المؤسسة (الشركة الوطنية للإذاعة والتلفزة) ولهم نفس التكوين ويتبعون الخط التحريري ذاته، كما أنه يوجد تقارب وتشابه في طبيعة المواضيع وذلك يرجع بالأساس إلى كون الإذاعتين تنتميان إلى نفس الجهة (طنجة - تطوان - الحسيمة).

نتائج الاستبيان

وجهت الباحثة مجموعة من الأسئلة المباشرة لكل الصحفيين المشتغلين بإذاعتي الحسيمة وتطوان، وعددهم 11 صحفيا وصحفية 6 منهم بإذاعة الحسيمة و5 بإذاعة تطوان، ويعدون ويقدمون مجموعة من البرامج بما فيها تلك التي تعنى بالثقافة المحلية والقيم المجتمعية.

تجاوب مع هذه الاستمارة، 10 مستجوبين من أصل 11، حيث توزعت النتائج على الشكل التالي:

السن	الجنس	مكان العمل	التخصص	الخبرة في العمل الإذاعي
بين 20 و29 سنة: 10%	ذكر: 70%	إذاعة تطوان: 40%	الصحافة والاعلام: 70%	أقل من 5 سنوات: 20%
بين 30 و39 سنة: 40%	أنثى: 30%	إذاعة الحسيمة: 60%	العلوم الإنسانية: 20%	بين 11 و20 سنة: 50%
أكثر من 40 سنة: 50%			الدراسات اللغوية واللسانيات: 10%	أكثر من 20 سنة: 30%

محتوى البرامج التي يقدمها الصحفيون

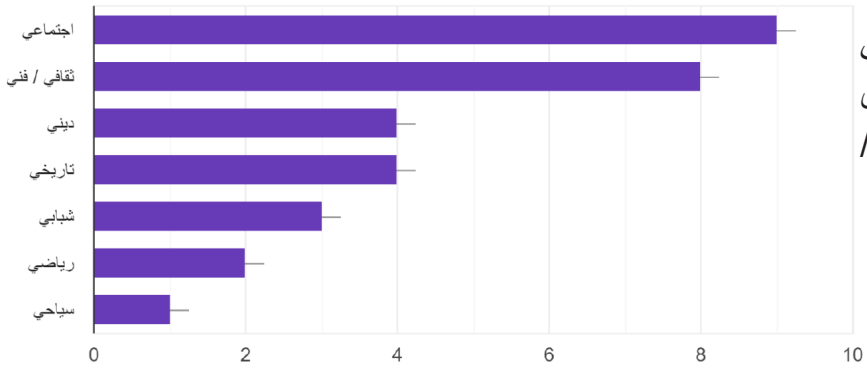

تصدرت البرامج ذات المحتوى الاجتماعي سلم الإنتاجات الإذاعية، بواقع 9 صحفيين من أصل 10، تليها البرامج الثقافية/ الفنية بـ8 من أصل 10 مستجوبين.

تجارب الصحفيين في تقديم برامج ثقافية

هل سبق وقدمت برنامجا يعرف بالثقافة المحلية والقيم المجتمعية؟

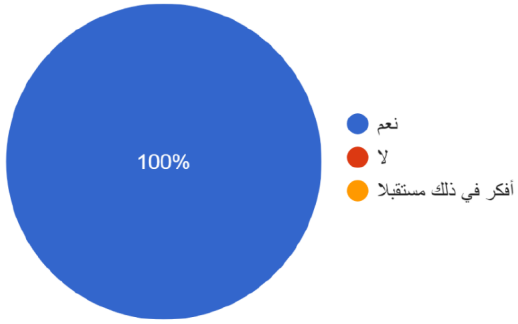

قدم كل المستجوبون برامج تعرف بالثقافة المحلية والقيم المجتمعية بالإذاعتين معا، مما يؤكد اهتمام الإعلام العمومي بالخصوصيات الثقافية والمجتمعية المحلية.

هل أنت من قام بإعداده؟

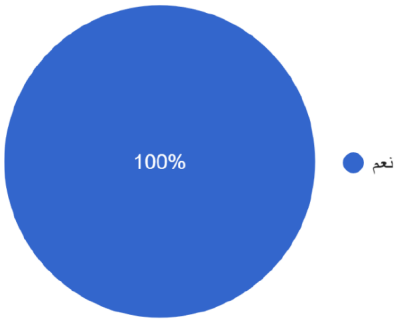

يتولى الصحفيون إعداد هذه البرامج من منطلق تكوينهم الإعلامي المهني الذي يخول لهم القيام بهذه المهمة، الأمر الذي يمكنهم من ملامسة كل الجوانب والحيثيات المرتبطة بالمضمون.

كم استغرقت فترة الإعداد للحلقة الواحدة؟

أكد 70% من المستجوبين أن فترة إعداد الحلقة الواحدة تستغرق أسبوعا واحدا، في حين أن 30% تحتاج إلى أسبوعين.

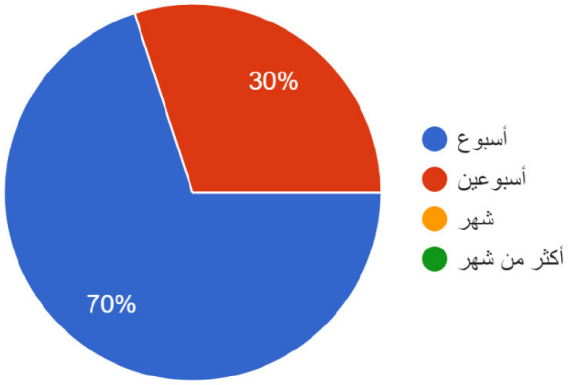

هل تركز أثناء إنجاز البرامج التي تعنى بالثقافة المحلية على:

يركز 90% من الصحفيين أثناء إنجاز البرامج التي تعنى بالثقافة المحلية على الحدث والإنسان في نفس الآن، من منطلق أن الإعلام العمومي المحلي يهتم في رسالته بمواكبة مختلف الأحداث ومناقشة القضايا التي يشكل الإنسان محورها الأساسي.

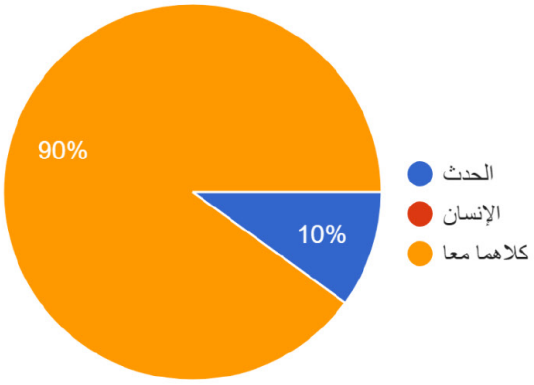

هل تعتمد في إعدادك للبرامج التي تعنى بالثقافة المحلية على الأسئلة الخمس: من؟ ماذا؟ أين؟ متى؟ لماذا؟

لا يعتمد 70% من الصحفيين المستجوبين على الأسئلة الخمس في إعداد البرامج التي تعنى بالثقافة المحلية. ويعزى ذلك بحسب ما تأكد للباحثة إلى كون الهاجس الأساسي من وراء هذا العمل الاذاعي هو ترسيخ ثقافة الحفاظ على الموروث الثقافي الذي يعتبر من الرسائل المنوطة بالإعلام العمومي المحلي القيام بها.

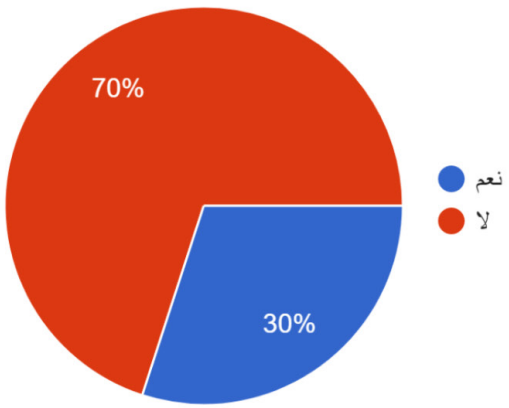

التقنيات التي يستعملها الصحفيون في الإعداد لبرامجهم

أجمع كل المستجوبون على اعتمادهم المقابلات المفتوحة مع أفراد من المجتمع في إعدادهم لبرامجهم، في حين أن 9 من أصل 10، يعتمدون على المقابلات مع المسؤولين أو مع أهل الاختصاص، وهذا ما لاحظته الباحثة عند دراستها للحلقات الإذاعية بكل من تطوان والحسيمة، إضافة إلى رصدها اعتماد الصحفيين لغة التواصل المحلية.

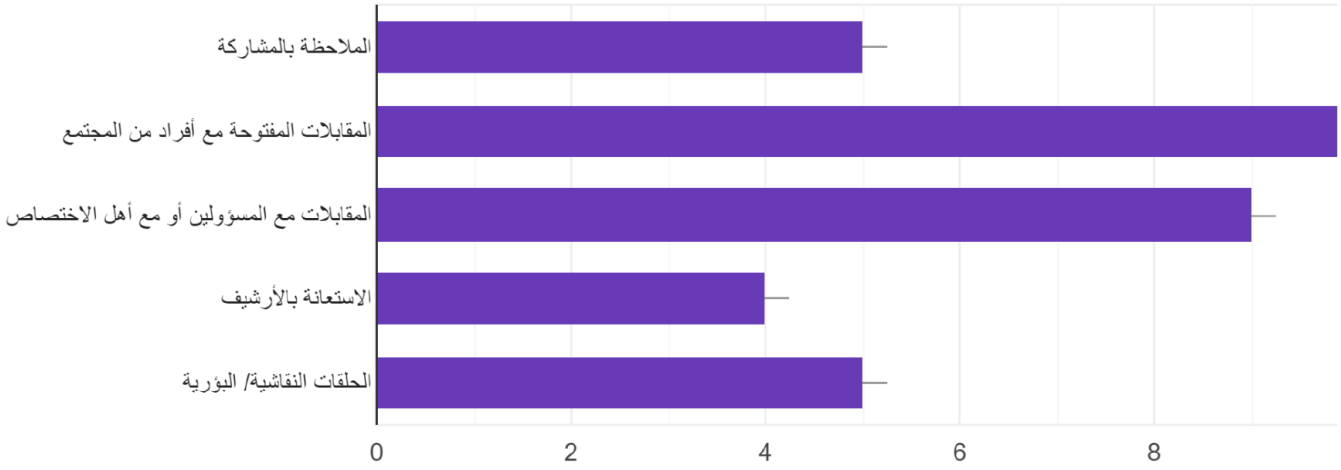

ألفة مصطلح الصحافة الأنثروبولوجية لدى الصحفيين

يبقى مصطلح الصحافة الأنثروبولوجية غير مألوف لدى 70% من المستجوبين، علما أن الباحثة لاحظت استعمالهم لتقنيات من المنهج الأنثروبولوجي. وفي هذا السياق، يرى الدكتور محمد عبد الوهاب العلالي أن "اعتمادها كجزء من مقررات التدريس في معاهد الإعلام والاتصال بالدول العربية يكاد يكون شبه منعدم." ما يجعل هذا المصطلح غير متداول بشكل ملحوظ.

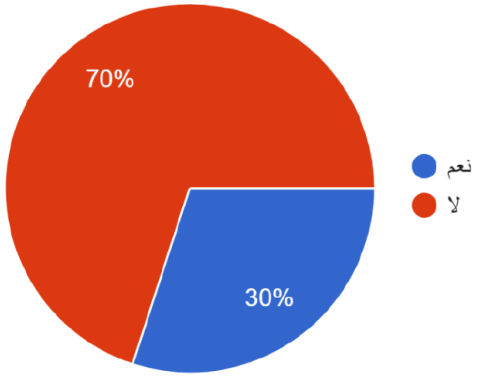

استفادة الصحفيين من تكوينات في مجال الصحافة الأنثروبولوجية / الإثنوغرافية

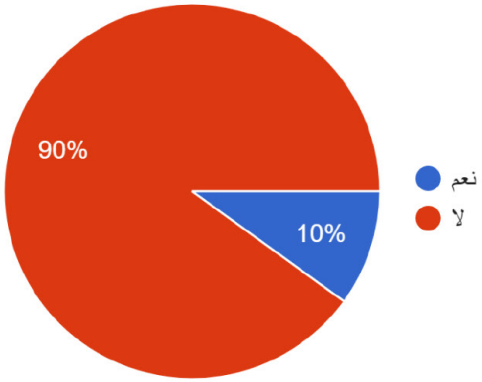

أكد 90% من المستجوبين أنهم لم يتلقوا تكوينا في مجال الصحافة الأنثروبولوجية، لأنها حسب الدكتور محمد عبد الوهاب العلالي[35] "لا تشكل حتى الآن مساقا من مساقات التدريس والتكوين في معاهد التكوين الصحفي والإعلامي والكليات والشعب التي تدرس الإعلام والاتصال في المغرب، ولا حتى في التدريبات والتكوينات الموازية في مرحلة ما بعد التخرج بالمؤسسات الإعلامية.

وهو ما يجعلنا نستنتج أنه إذا كانت بعض التقنيات والمنهجيات المستعملة تعتمد طرق ومناهج أنثروبولوجية فالأمر لا يتجاوز ممارسات وتجارب محدودة وعفوية لا واعية لهذا التكامل بين الأنثروبولوجيا وعلوم الإعلام والاتصال إلا فيما ندر"[36].

صحة اعتماد الصحافة الأنثروبولوجية/الإثنوغرافية على الهرم المقلوب (إعطاء الأولوية للمعلومات الأكثر أهمية فالمهمة فالأقل أهمية)

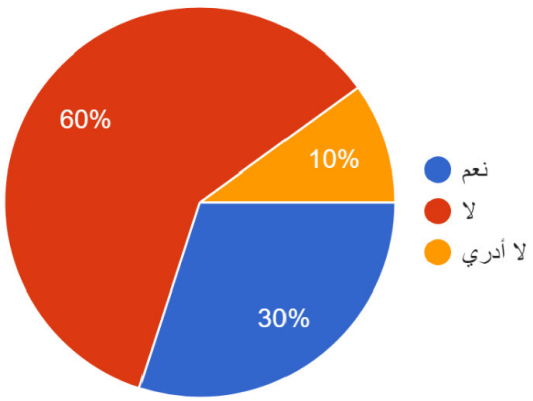

قال 60% من المستجوبين إن الصحافة الأنثروبولوجية لا تعتمد على الهرم المقلوب مقابل 30% ممن يروا أنها تعتمد على إعطاء الأولوية للأكثر أهمية فالمهم فالأقل أهمية.

ولاحظت الباحثة من خلال برامج الدراسة، أن الصحفيين يركزون على القيم والمكونات الثقافية والمحلية في برامجهم وليس على أهمية الأحداث وتراتبيتها.

[35] مقابلة الباحثة مع الدكتور محمد عبد الوهاب العلالي بتاريخ 30 مارس 2022
[36] مقابلة الباحثة مع الدكتور محمد عبد الوهاب العلالي بتاريخ 30 مارس 2022

مناقشة النتائج

تدل نتائج الدراسة على أن إذاعتي تطوان والحسيمة تقدمان برامج تعرف بالثقافة المحلية العربية والأمازيغية وما تتضمنه من قيم مجتمعية متأصلة في المجتمعين، كقيم التضامن بين السكان وقيم حسن الجوار وقيم التماسك الأسري والتضامن بين الأزواج، مع اعتماد الصحفيين على تقنيات من المنهج الإثنوغرافي كالملاحظة بالمشاركة والمقابلات المفتوحة مع أفراد من المجتمع ومع المختصين والمسؤولين، بالإضافة إلى توفرهم على شرط أساسي من شروط العمل الأنثروبولوجي أو الإثنوغرافي المتمثل في انتمائهم إلى المنطقة التي يشتغلون بها، وبالتالي هم على دراية تامة بكل ما يتعلق بالناس وخلفياتهم وخصوصية منطقتهم.

تتشارك نتائج هذه الدراسة مع البحث الذي أعدته بيسان غالب جابر، في إطار زمالة الجزيرة لسنة 2021 حول المنهج الإثنوغرافي في الصحافة العربية من خلال القصص التي نشرت سنة 2020 عن جائحة كورونا[37]، في كون العمل بالمنهج الإثنوغرافي في العمل الصحفي لا يعرف بالضرورة بـ "الصحافة الإثنوغرافية" في العالم العربي، وأن من شأن الأنثروبولوجيا أن تحسن من أداء المؤسسات والهيئات الصحفية وتطور دورها من خلال تعزيز مركزية الإنسان وقصته، فلا يكون الحدث أهم من الأفراد المعنيين، حيث بينت نتيجة الاستبيان أن 90% من الصحفيين بالإذاعتين يركزون على الإنسان والحدث في نفس الآن.

أثبتت هذه الدراسة من خلال التحليل الذي قامت به الباحثة لمضمون البرامج الإذاعية، أن العمل بالمنهج الإثنوغرافي لا يقتصر على الصحافة المكتوبة أو الإلكترونية وحسب، بل يتعداها ليشمل الصحافة المسموعة أيضا، الأمر الذي يفسح المجال أمام فرضيات جديدة لدراسات لاحقة، تبحث في الإمكانيات التي تتيح الاستعانة بالمجال الأنثروبولوجي والمنهج الإثنوغرافي وتطبقه على الإعلام السمعي البصري بمنهج علمي واضح، وعن سابق معرفة من قبل الصحفيين خلال إعدادهم وتقديمهم لمختلف البرامج والتقارير والتحقيقات، والدراسات المستقبلية حول كيفية التأسيس لإدراج الصحافة الأنثروبولوجية ضمن مقررات التدريس بالجامعات العربية.

من جهة أخرى، يمكن القول إن هذه الدراسة شكلت تحديا كبيرا للباحثة، بحكم أن الموضوع حديث، ولا يوجد بحث سابق تطرق للإشكالية المرتبطة بدور صحافة الأنثروبولوجيا في الحفاظ على الثقافات المحلية والقيم المجتمعية.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن معهد الجزيرة للإعلام كان سباقا إلى تقديم أبحاث رصينة عن الصحافة المتأنية وعن المنهج الإثنوغرافي خلال الثلاث السنوات الأخيرة.
ومع قلة المراجع العربية التي تتطرق للتقاطعات بين مجال الصحافة والإعلام والمجال الأنثروبولوجي، كان من الضروري الاستعانة بالمقابلات للتمكن من الإجابة عن التساؤلات البحثية.
ومن بين التحديات الأخرى التي واجهت الباحثة، هي محاولة تكييف مواعيد إجراء المقابلات مع الخبراء والمختصين، الذين شاركوا مشكورين في هذه الدراسة من الرباط والحسيمة وتطوان، وكان يلزمهم الوقت الكافي للبحث والاطلاع على حيثيات الموضوع، مع مراعاة عامل الوقت ومحاولة الالتزام بالمواعيد المحددة من طرف المشرفين على برنامج الزمالة.

كما شكل عامل عدم تمكن الباحثة من اللغة الأمازيغية تحديًا آخر، تمثّل في ضرورة الاستعانة بالصحفية خيرة الكزناي مشكورة لشرح مضامين أربع حلقات من عينة الدراسة وترجمتها إلى اللغة العربية.

[37] غالب جابر، بيسان، المنهج الإثنوغرافي في الصحافة العربية، إصدارات معهد الجزيرة للإعلام، 2021

الخلاصات والتوصيات

خلصت الباحثة من خلال دراستها لحلقات عشوائية لمجموعة من البرامج التي تم بثها سنة 2021 عبر أثير إذاعتي تطوان والحسيمة التابعتين للشركة الوطنية للإذاعة والتلفزة المغربية، إضافة للمقابلات التي أجرتها مع مجموعة من المختصين، إلى مجموعة من النتائج:

- تعتبر الأعمال الإذاعية التي تهتم بالثقافة المحلية والقيم المجتمعية عملا صحفيا يعتمد على مجموعة من الآليات والمنهجيات التي تشترك مع مناهج الأنثروبولوجيا، كالمقابلة المباشرة مع أفراد المجتمع، ومشاركتهم لتفاصيل من حياتهم اليومية، واستعمال لغة تواصل مطابقة للغة المستجوبين وأسلوب تلقائي.

- يمكن اعتبار الأنثروبولوجيا بمثابة علم مساعد بالنسبة لعلوم الصحافة والإعلام، وثمة قواسم مشتركة بين المجالين من حيث المنهجيات والتقنيات المعتمدة.

- يساهم البعد الأنثروبولوجي في إثراء المحتوى الإعلامي -الذي يهتم بالثقافات المحلية والقيم المجتمعية- ويجعله أكثر عمقا، ويضفي عليه مصداقية ويشد انتباه المتلقي.

- بالرغم من تركيز مجال الصحافة والإعلام على الإخبار والتوعية، إلا أنه يشتغل بشكل مباشر على كل ما له علاقة بالموروث الثقافي وبأنماط وسلوكيات العيش داخل المجتمعات، مستفيدا بذلك مما تتيحه عدة أجناس صحفية من تعميق البحث والدراسة في خصوصية هاته الأنماط.

- يمكن للإعلام أن يستفيد من الدرس الأنثروبولوجي لتحقيق القرب من الناس، والبحث عن أنجع الوسائل لتبليغ خطابه الوسيط بين المعرفة العالمة والمعرفة العامية، كما أن التأطير الإجرائي أو النظري للثقافات المحلية وتحليلها أنثروبولوجيا يسمح بفهم عام لجل التغيرات المحدثة.

- لا تدخل الصحافة الأنثروبولوجية ضمن مساقات التدريس والتكوين في الكليات والمعاهد بالمغرب. وفي هذا الصدد، تقترح الباحثة مجموعة من التوصيات:

- من شأن الأنثروبولوجيا الثقافية والأنثروبولوجيا الاجتماعية أن تشكل دائما داعما للتكوين المهني الجيد للصحفيين، وانفتاحهم على قضايا ثقافية واجتماعية أكثر عمقا من مجتمعاتهم، وبالتالي يجب اعتماد الصحافة الأنثروبولوجية كنمط صحفي قائم بذاته يدرس في معاهد وكليات الإعلام، وتخصيص دورات تكوينية وتدريبية للصحفيين للتمكن من آليات المنهج الأنثروبولوجي.

- تلعب إذاعتا الحسيمة وتطوان من خلال ما تقدمه من برامج، دورا مهما فيما يتعلق بالحفاظ على الثقافة والخصوصية المحلية وتثبيت القيم المجتمعية، لكن بالرغم من أنهما تبثان أيضا عبر التقنية الرقمية، إلا أن تلك البرامج ليس لها أرشيف رقمي يمكن الباحث أو المستمع من متابعة الإنتاجات التي تقدمها، أي أنها تقتصر على البث المباشر فقط. لذا تجد الباحثة أنه من الضروري أرشفة مختلف المواد الإذاعية ورقمنتها، وإنشاء صفحات لها على مواقع التواصل الاجتماعي كي يسهل نشرها وتعميمها وتصل إلى أكبر شريحة ممكنة.

المراجع

المراجع العربية

• رقاب، محمد، الإعلام الثقافي بين الحفاظ على الهوية وموجات الإمبريالية الثقافية، المجلة الدولية للاتصال الاجتماعي، 2019.
• بخوش نجيب، سراي سامية، الإجراءات المنهجية لاستخدام تحليل المضمون في بحوث الإعلام، المجلة الجزائرية لبحوث الإعلام والرأي العام، ديسمبر2020.
• أبو زيد، أحمد، "محاضرات في الأنثروبولوجيا الثقافية"، دار النهضة العربية، 1978، بيروت.
• معافة، صلاح الدين، بنية الصحافة المتأنية وأساليب التأثير في الجمهور، معهد الجزيرة للإعلام، 2019.
• غالب جابر، بيسان، المنهج الإثنوغرافي في الصحافة العربية، إصدارات معهد الجزيرة للإعلام، 2021.
• الكباشي، عثمان، الصحافة المتأنية... تعميق المحتوى في زمن السرعة | الجزيرة نت.
• رفعت، حسني، صحافة متأنية في عصر الأخبار العاجلة،
https://portal.arid.my/Publications/e02cda28-55bb-4664-9a1a-6c0c13d54359.pdf

المراجع الأجنبية

• François Laplatine, "L'ethnologue, le traducteur et l'écrivain, "Meta," vol 40, n 3, septembre, 1995.
• John D. Brewer, `` Ethnography``, Open University Press, Buckingham, first published, 2000.
• David Fetterman, ``Ethnography: Step-by-step``, Applied Social Research Methods Series, Sage Publications, 1998.
• GREENBERG, Susan, "Slow Journalism." Prospect Magazine February 25, 2007.

المقابلات

• مقابلة أجرتها الباحثة مع عبد الرحمن الزكريتي، أستاذ علم الاجتماع بجامعة عبد المالك السعدي بتطوان، 15 فبراير 2022، تطوان.
• مقابلة أجرتها الباحثة مع حسناء داود، كاتبة ومؤرخة ومحافظة مكتبة محمد داود بتطوان، 23 فبراير 2022، تطوان.
• مقابلة أجرتها الباحثة مع عمر المعلم، رئيس جمعية ذاكرة الريف بالحسيمة، 24 فبراير 2022، الحسيمة.
• مقابلة أجرتها الباحثة مع محمد عبد الوهاب العلالي، أستاذ الصحافة والإعلام بالمعهد العالي للإعلام والاتصال بالرباط، 30 مارس 2022، الرباط.

المواقع الإلكترونية

• https://al-ain.com/article/moroccan-tetouan-andalusian-civilization

• https://www.aljazeera.net/encyclopedia/citiesandregions/2016/7/27/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%8A%D9%81-%D9%85%D9%86%D8%B7%D9%82%D8%A9-%D9%85%D8%BA%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9-%D8%A3%D8%B1%D9%82%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AD%D8%AA%D9%84%D8%A7%D9%84

• http://snrtlive.ma/radios-regionales

• https://www.haca.ma/sites/default/files/SNRT.pdf

• https://presstetouan.com/news24176.html

• https://www.researchgate.net/publication/331839406_alshaft_almtanyt_fy_sr_shbkat_altwasl_ma_amkanyat_njahha

• https://institute.aljazeera.net/ar/ajr/article/684?fbclid=IwAR0DZRIW00qFWKZzMiXPkU0mvm-Wa9V7a5B5UbY-nAwCU952_fh4AqFfWZYM

• https://www.alaraby.co.uk/%D8%A5%D9%8A%D9%82%D8%A7%D8%B9%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%8A%D9%81-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D8%A7%D8%B2%D9%8A%D8%BA%D9%8A

الملاحق

• الاستبيان الموجه للصحفيين لمعرفة مدى تطبيق مبادئ الصحافة الأنثروبولوجية وآليات المنهج الإثنوغرافي بالبرامج التي تهتم بالثقافة المحلية والقيم المجتمعية بإذاعتي الحسيمة وتطوان.

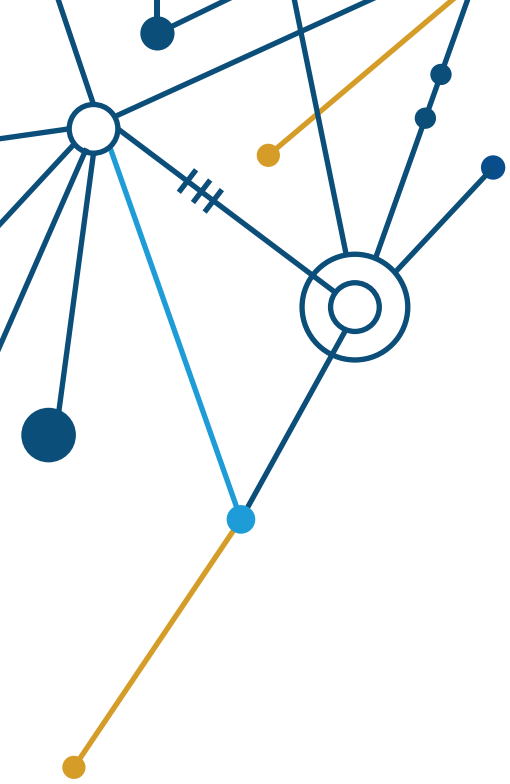

معهد
الجزيرة للإعلام

AJMInstitute

+974 44897666
institute@aljazeera.net
http://institute.aljazeera.net/